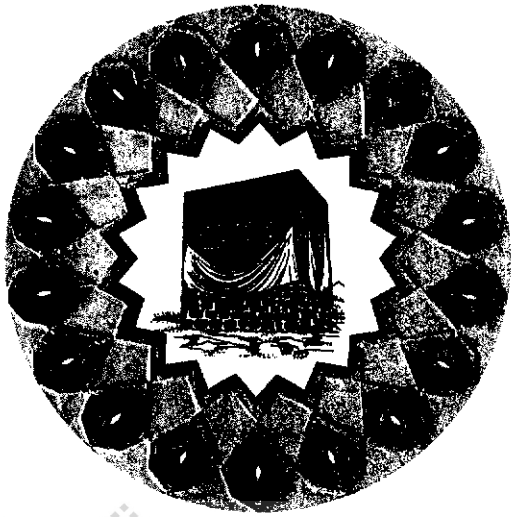

آراء وأفكار

مع سماحة آية الله الشيخ السبحاني

حاوره: محسن الأسدي

في موسم الحجّ، وبالذات عند أداء مناسك هذه الفريضة المُباركة، التي وصل عدد الحضور فيها ثلاثة ملايين أو يزيدون، يتعرّض كثيرٌ من الحجّاج الكِرام إلى مشاكل كثيرة، ومتاعب خطيرة، دفعتنا إلى التماس حلٍّ لها في فتاوى الفقهاء وآرائهم، فلعلّها تساهم في تخفيف معاناة الحجّاج، وتدرأ عنهم المخاطر...

وها هو سماحة آية الله الشيخ جعفر السبحاني، فقيه من فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، يتفضّل مشكوراً بالإجابة عن الأسئلة، التي وجّهها له الأُستاذ محسن الأسدي عضو الهيئة العلمية لمجلة «ميقات الحج».

* * *

○ حدود الطواف، وما يسبّبه ضيق المطاف من حرج، هلّا تفضل سماحتكم بالحديث عن هذه المسألة بشكلها الفقهي؟ علماً بأنّ هذه

www.noormags.com

المسألة (الطواف بين البيت والمقام) ليس لها أثر مهمّ في دائرة الفقه السنّي لسعة دائرة المطاف عندهم، وإنّما هي مسألة يبدو أنّها مختصّة بالفقه الشيعيّ.

● إنّ المطاف هو الحدّ الفاصل بين الكعبة ومقام إبراهيم وهو يقرب من نحو ١٢ متراً، فعلى الطائف أن لا يخرج عن هذا الحدّ في الجوانب الأربعة للكعبة.

غير أنّ مبدأ هذا الحدّ في الأضلاع الثلاثة هو جدار الكعبة. وأمّا الضلع الذي يتّصل به حجر إسماعيل، فالحدّ الفاصل يُحسب من جدار الحجر إلى نهاية ١٢ متراً، لا من جدار الكعبة، وبذلك تعالج المشكلة في كثير من الفصول وقسط كبير من أشهر الحجّ.

وهذا القول هو خيرة الشهيد الثاني في الروضة[١] ومال إليه في المسالك[٢] واختاره في المدارك[٣] ونفي الإشكال عنه في الجواهر[٤]، وإن عدل عنه أخيراً كما اختاره لفيف من المعاصرين.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ويمكن استظهاره من رواية محمّد بن مسلم[٥] لكن بشرط الإمعان فيها، ومع ملاحظة ما ورد في البابين ٣٠ و ٣١ من أبواب الطواف.

نعم هنا مشكلة أُخرى وهي عدم كفاية هذا الحدّ الفاصل (حتّى مع حساب المسافة من جهة الحِجر) عند وفود الحجاج في أوائل شهر ذي الحجة الحرام، فإنّ الالتزام بالطواف في هذا الحدّ يسبب الحرج الشديد الذي لا يطاق، فلا محيص من

(١) الروضة: ٢ / ٢٤٩.
(٢) المسالك: ٢ / ٣٣٣.
(٣) المدارك: ٨ / ١٣١.
(٤) الجواهر: ١٩ / ٢٩٨.
(٥) الوسائل: الجزء ٩، الباب ٢٨ من أبواب الطواف، الحديث ١.

www.noormags.com

القول بأنّ المطاف أوسع من هذا الحدّ الفاصل بالبيان التالي:

إنّه سبحانه يأمر جموع الحجيج الحاضرين في المسجد بالطواف بقوله ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[١] هذا من جانب.

ومن جانب آخر يقول سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[٢].

فمقتضى دعوة الحاضرين في المسجد إلى الطواف مع رعاية عدم تسبّب الحرج، هو كون المطاف في هذه الظروف أوسع من الحدّ المذكور مع ملاحظة الأقرب فالأقرب.

وقد روى الصدوق في الفقيه بسند صحيح، عن أبان بن عثمان، عن محمّد بن علي الحلبي قال: قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الطواف خلف المقام، قال: ما أحب ذلك وما أرى به بأساً، فلا تفعله إلّا أن لا تجد منه بداً[٣].

وقوله: «ما أحب ذلك» ظاهر في الكراهة وهي تزول مع الضرورة.

على أنّ لفيفاً من الفقهاء كالصدوق في الفقيه[٤] والمحقّق الأردبيلي في مجمع الفائدة[٥] ذهبا إلى جواز الطواف خارج المقام اختياراً، وخصّه ابن الجنيد[٦] بصورة الضرورة.

○ تكرّرت الحوادث المفجعة حين رمي الجمرات خاصّة في السنوات الأخيرة... لأسباب منها سوء الإدارة والتنظيم، أو جهل الناس بأحكامهم،

(١) الحج: ٢٩.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) الوسائل: ٩، الباب ٢٨ من أبواب الطواف، الحديث ٢ وأبان بن عثمان من أصحاب الإجماع.

(٤) الفقيه: ٢ / ٣٩٩.

(٥) مجمع الفائدة: ٧ / ٨٧.

(٦) مختلف الشيعة: ٤ / ١٨٣.

www.noormags.com

أو لعجلتهم في أداء هذا المنسك. إلّا أنّ هناك من يلقي باللوم على الفقهاء في أنّهم عسّروا على الناس الشريعة وهي السهلة السمحاء، بل ولم يعلّموا الناس أحكامهم.

فهلّا يبيّن سماحتكم الموقف الفقهي بشكل جليّ لهذه المسألة؟ وهل هناك مجال أو حلّ شرعيّ يساهم في درء مثل هذه الحوادث أو تخفيفها على الأقل؟

● إنّ لتكرر الحوادث المفجعة حين رمي الجمرات سبباً آخر غير مذكور في السؤال وهو ظاهرة «الافتراش» فانّ كثيراً من البدويين يسدّون طريق الحجيج من خلال افتراشهم. الأمر الذي يفرض على الحكومة السعودية أن تُجليهم عن المكان وتتخذ لهم أماكن سكن مناسبة.

وهناك أُسلوب آخر لحلّ الأزمة وهو استغلال اختلاف الفتاوى بالنحو التالي:

إنّ أصحاب المذاهب الأربعة يخصّون جواز الرمي في اليوم العاشر من ذي الحجة بما قبل الظهر، كما أنّهم يخصونه في الحادي عشر والثاني عشر بما بعد الظهر، فعلى الشيعة لا سيّما غير الأقوياء أن يستغلّوا هذا الظرف المُناسب من خلال الرمي في اليوم العاشر بعد الظهر وفي اليومين الأخيرين قبله.

على أنّ الأقوى هو جواز الرمي من فوق الجمرات عبر الجسر الجديد الذي يمتد فوقها.

هذا هو الحلّ العاجل، غير أنّه لابدّ من حلّ الأزمة جذرياً دون أن تمس أصل الحكم الشرعي.

○ غالباً ما يكون الذبح خاصّة في السنوات الأخيرة خارج منىٰ، فما هي حدود منىٰ؟ وهل تتّسع بكثرة الحجيج؟ وهل يصحّ الذبح خارج منىٰ كأن

www.noormags.com

يكون في بلد الحاج، إذا لم تتوفر شروط الذبح الشرعية بشكل كامل؟

● منىٰ بلدة قريبة من مكّة، وهي أقرب المواقع الرئيسية إلى مكّة، ثمّ المزدلفة، ثمّ عرفة، فإذا دخلت منىٰ من مكّة كانت أول جمرة، هي جمرة العقبة، وحدّ منىٰ هو ما بين جمرة العقبة ووادي محسِّر طولاً، وأمّا عرضاً فهو ما بين الجبلين أو الجبال الشاهقة، فوادي محسِّر أبعد من مكّة من منىٰ، وإنّما يقع بينها وبين المزدلفة.

وأمّا مسألة الذبح، فيجوز تأخير الذبح إلى اليوم الثاني عشر من ذي الحجة، فإذا أمكن الذبح في هذه المدّة بمنىٰ فيقدم ذلك، فإذا لم يتمكن كما هو السائد عند كثرة الحجيج، فيجب الذبح خارج منىٰ في وادي محسِّر مع الأخذ بنظر الاعتبار الأقرب فالأقرب، ولا يجزي الذبح في بلد الحاج وكالةً. وقد قال سبحانه: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾[1] وهو لا يتحقّق إلّا أن يكون الذبح في الأرض المقدّسة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

○ كيف ترون مناسك الحجّ وأداءها مستقبلاً مع عظمة القادمين لأداء هذه الشعيرة المقدّسة وكثرتهم، واحتمال إجراء تغييرات عمرانيّة تتناسب وكثرة الحجيج، فهل يكون للفقه الزمكاني أثر يذكر في هذه المسألة؟

● قد ذكرنا في رسالة مستقلة[2] دور الزمان والمكان في الاستنباط، وأشرنا إلى بعض الروايات الواردة في هذا الموضوع عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، والتي تناهز العشرين رواية، كما ذكرنا كلمات الفقهاء من عصر الصدوق إلى يومنا هذا من

(١) الحج: ٣٦.
(٢) لاحظ رسائل و مقالات: ٢ / ٤١ ـ ١١٣.

www.noormags.com

الفريقين، وذكرنا أنّ الظروف الطارئة لا تمسّ كرامة الأحكام الواقعية، ولا تحدث أيّة خدشة فيها، ولكن يؤثر في أساليب تنفيذ الأحكام، فالأحكام ثابتة وأساليب تنفيذها متغيرة، ومنها الحج، ولابدّ أن يكون كل تغيير عمراني تقتضيه كثرة الحجيج خاضعاً لهذا الإطار، أي أن يكون الحكم الواقعي ثابتاً وأسلوب إجرائه متغيراً.

وإليك نموذجاً من هذا النوع:

لا شكّ أنّ هناك أموراً وقعت موضوعاً لأحكام شرعية نظير:

١. الاستطاعة: قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[١].

٢. الفقر: قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ والْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[٢].

٣. الغنى: قال سبحانه: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ومَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَاكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٣].

٤. بذل النفقة للزوجة: قال سبحانه: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ﴾[٤].

٥. إمساك الزوجة بالمعروف: قال سبحانه: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[٥].

ومن الواضح أنّ مصاديق هذه الموضوعات تتغير حسب تغير أساليب الحياة، فالإنسان المستطيع بالأمس للحجّ، لا يعدّ مستطيعاً اليوم، لكثرة حاجات

---

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) التوبة: ٦٠.

(٣) النساء: ٦.

(٤) الطلاق: ٦.

(٥) البقرة: ٢٣١.

www.noormags.com

الإنسان في الزمان الثاني دون الأوّل، وبذلك يتّضح حال الفقر والغنى، فربّ غني بالأمس فقير اليوم.

ـ كما أنّ نفقة الزوجة في السابق كانت منحصرة في الملبس والمأكل والمسكن، وأمّا اليوم فقد ازدادت حاجاتها على نحو لو لم يقم الرجل ببعض تلك الحاجات يعدّ عمله بخساً لحقها، وامتناعاً من بذل نفقتها.

○ وختاماً ـ ومع شكرنا الجزيل لسماحة الشيخ ـ لابدّ لنا من العروج إلىٰ ثمرات هذه الفريضة، فمنافع الحجّ، الثقافية والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة... كثيرة، هذا إضافة إلى منافعه العباديّة وهي الرئيسية فيه والأهم، فالحج يلتقي فيه البعدان الروحي والمادي، الاخروي والدنيوي...، فهلّا يتفضّل سماحتكم بالحديث عن هذه المنافع ولو بشكل مختصر؟

● الإمعان والدقّة في الآيات الواردة حول الحجّ ومناسكه، وما رويت حوله من النبي الأكرم والعترة الطاهرة من الروايات، وما استقرت عليه سيرة المسلمين في القرون الأُولى الإسلاميّة، يعرب عن أمرين مهمين، يُعرّفان ماهية الحجّ وحقيقته وأهدافه وهما:

إنّ الحجّ عمل عبادي وفي الوقت نفسه ملتقى سياسي للمسلمين، ويطيب لي أن أذكر كلا الأمرين بعبارات موجزة مستشهداً بآيات الذكر الحكيم، وما أثر في ذلك المجال.

الحج عمل عباديّ

والذي يدل على أنّ الحجّ عمل عبادي هو:

١ ـ إنّ الحجّ عمل يقصد به الإنسان كسب رضاه سبحانه تلبيةً لنداء الخليل عليه السلام حيث قام بدعوة الناس إلى الحجّ الذي أقامه بعد انهيار، وعمّره بعد

www.noormags.com

خراب، كما قال سبحانه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ...﴾(١).

٢ ـ الحجّ تذكار وذكر لله سبحانه في كافة مراحله ومواقفه ومراسمه ومشاهده، وقد أمر سبحانه في غير واحد من الآيات حجّاج بيته أن يذكروه في جميع المواقف، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾(٢).

ويقول سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٣).

٣ ـ الحجّ تطهير للنفس عن دنس الأقذار الخلقية، وتوجيهها إلى المثل العليا، وكبح للنفس عن اللذائذ الدانية النفسانية. قال سبحانه: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾(٤).

ولأجل أنّ الحجّ تطهير للنفوس سميت أعماله مناسكاً وهو من نسك ثوبه أو غسله، فكأنّ تلك الأعمال تغسل ما عليها من صدأ الذنوب ودرن الآثام، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾(٥).

---

(١) الحج: ٢٧.
(٢) البقرة: ١٩٨ ـ ٢٠٠.
(٣) البقرة: ٢٠٣.
(٤) البقرة: ١٩٧.
(٥) البقرة: ٢٠٠.

www.noormags.com

٤ ـ الحجّ تدريب وتربية للنفس للغلبة على الهوى وتحصيل التقوى، الذي هو خير الزاد للإنسان، قال سبحانه في ثنايا آيات الحجّ: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[١].

٥ ـ قد كان الهدف الأسمى من تجديد بناء البيت بيد بطل التوحيد، دعوة الناس إلى عبادة الله وحده ورفض عبادة الأنداد والشرك بألوانه، قال سبحانه: ﴿وعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾[٣] ولأجل ذلك كان شعار الخليل عليه السلام عند بناء البيت ورفع قواعده هو الطلب من الله سبحانه أن يجعل ذرّيته أُمّة مسلمة ويريهم مناسكهم ويتوب عليهم بالرحمة. قال سبحانه حاكياً عنه عليه السلام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٤].

٦ ـ إنّ الخليل أنزل أُسرته بأرض قاحلة عند البيت المحرم لغاية إقامة الصلاة، وفي الوقت نفسه طلب من الله سبحانه أن يوجّه أفئدة الناس إلى هذا البيت لتلك الغاية السامية، قال سبحانه حاكياً عن الخليل: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[٥].

٧ ـ الحجّ تزهيد عن الدنيا واكتفاء من زخرفها وزبرجها بثوبين يرتدي بأحدهما ويتزر بالآخر، ويردّد في جميع الحالات الشكر والثناء امتثالاً لأمره

(١) البقرة: ١٩٧.
(٢) البقرة: ١٢٥.
(٣) آل عمران: ٩٦.
(٤) البقرة: ١٢٧.
(٥) إبراهيم: ٣٧.

www.noormags.com

سبحانه: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[١].

٨ ـ الحجّ عمل رمزي لكثير من العبادات والطقوس الواردة في الشريعة المفروضة في ظروف خاصة، فصار الحجّ بمفرده مظهراً لها ومجسداً لكثير منها، حيث نجد فيه الأعمال التالية المعربة عن جانبه العبادي، أعني: النيّة، الطهارة من الحدث والخبث، الصلاة، الصوم، الطواف بالبيت، الذبح لله، إطعام القانع والمعترّ من اللحوم، الاعتكاف الذي يجسده الوقوف في المشاعر، ورجم الشيطان العدو الوحيد للإنسان الذي يوسوس في صدور الناس.

كلّ ذلك يعرب عن أنّ الحجّ عبادة لله وتقرب إليه، يصل به الإنسان إلى مدارج الكمال.

الحجّ ملتقى سياسيّ

إنّ كون الحجّ أمراً عبادياً أو مجسداً لأكثر العبادات لا ينافي أن يشتمل على بعد آخر فيه حياة للمسلمين وقوام لعيشهم، وإقامة لشؤونهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والحكومية، وهذا ما نعبّر عنه بكون الحجّ ملتقى سياسياً تجتمع فيه هذه الآثار الحيوية، وهذا ما يدعمه أيضاً الذكر الحكيم، وتؤيده السنّة النبويّة وعمل المسلمين في القرون الإسلاميّة الأُولى.

أمّا الآيات التي ترمز إلى تلك الأبعاد، فنكتفي منها بما يلي:

الف: قال سبحانه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[٢]. والمُراد من كونه مثابة كونه مرجعاً للناس والمسلمين عامّة، ولأجل أنّ الحجّ عمل اجتماعي يجب أن يخيّم عليه الأمن ويسيطر عليه السلام، حتى يقوم الناس بعمل اجتماعي

(١) إبراهيم: ٣٧.

(٢) البقرة: ١٢٥.

www.noormags.com

لأهداف اجتماعية، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[١]، وقال تعالى حاكياً عن خليله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾[٢].

فالحجّ بما أنّه أمر اجتماعي وملتقى للشعوب المختلفة، بحاجة إلى استتباب الأمن والهدوء حتى يقوم كلّ إنسان وشعب ببيان فكرته ونظريته ولا يخاف من إنسان ولا دولة، ويتجلّى الحجّ كمنبر حرّ للمسلمين كلّهم، وهذا ما نعبّر عنه بكونه عملاً اجتماعياً.

وفي جانب ذلك فالحجّ ملتقى ثقافي يلتقي فيه المفكّرون الكبار والعلماء في شتّى الحقول، فيقومون بعرض الاطروحات والتجارب على الصعيد الثقافي والعلمي والاقتصادي؛ كي تتعرف كلّ طائفة على ما عند الأُخرى من الأفكار القيّمة والنظريات المفيدة، فيؤدي ذلك إلى التقاء الأفكار والاحتكاك بينها.

إذاً الحجّ عمل اجتماعي وملتقى ثقافي وفي الوقت نفسه مؤتمر سياسي سنوي يجتمع فيه قادة المسلمين، فيتشاورون في مهام الأُمور بغية التنسيق والتعاون فيما بينهم، ولعلّ إلى تلك الجوانب الثلاثة يشير قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾[٣].

فسواء كان القيام بمعنى القوام وما به حياة المسلمين، أو كان بمعنى ضدّ القعود، فالآية تتضمن نكتة مهمّة وهي انّ كيان المسلمين معقود بناصية الحجّ فيه يقومون وفي ظلّه قوام حياتهم، فالآية نظير قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾[٤].

فوصف سبحانه أموال الناس بكونها قياماً لهم، أي بها يقومون في الحياة، أو

(١) آل عمران: ٩٦.
(٢) البقرة: ١٢٦.
(٣) المائدة: ٩٧.
(٤) النساء: ٥.

www.noormags.com

بها قوام حياتهم الاجتماعية، فاقتران الآيتين يعرب عن كون الحجّ ركناً في حياة المسلمين وبقاء كيانهم. ويشير أيضاً إلى تلك الجوانب قوله سبحانه: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾[١]. فكانت الغاية من دعوة كلّ راجل وراكب إلى الاجتماع في أيّام الحجّ خصوصاً في المواقف والمشاهد، حيازة المنافع الكبيرة التي يحتوي عليها الحجّ. فما جاء في الآية تعبير جامع يتضمّن كلّ نفع يرجع إلى المسلمين في ذلك الملتقى، ولا يصحّ لنا تخصيصه بالنفع المعنوي بإخراج النفع المادّي، أو تخصيصه بنفع دون نفع، ففي ذلك الوفود إلى الله سبحانه منافع كثيرة يصطادها المسلمون حسب قابلياتهم وصلاحياتهم.

هذا ما لخصّناه للقارئ الكريم من الذكر الحكيم، وأمّا السنّة الشريفة فيكفي في ذلك أنّ النبيّ ﷺ أمر الإمام علياً عليه السلام بأن يتلو آيات البراءة في يوم الحجّ الأكبر، قال سبحانه: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ.....﴾[٢] وهل يشك ذو مسكة في أنّ البراءة ورفع الأمان عن المشركين وإمهالهم أربعة أشهر عمل سياسي قام به قائد الإسلام أيّام رسالته وازدهار دعوته، حتى يكون ذلك قوّة للمسلمين في الأجيال اللاحقة؟

هذا هو الإمام الطاهر الحسين بن علي عليهما السلام أطاح بطاغية عصره يزيد بن معاوية، ففضحه بعرض جناياته وأعماله المخزية على الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان في موسم الحجّ في أرض منىٰ، وقد اجتمع تحت منبره قرابة ثمانمائة منهم، وأبان في خطابه موقف أهل البيت من الإسلام، ثمّ ذكر مظالم الجهاز الأُموي الحاكم، وطلب من الجميع أن يحملوا خطابه وهتافه إلى إخوانهم وأوطانهم حتى

(١) الحج: ٢٨.
(٢) التوبة: ٣.

www.noormags.com

يقفوا على فداحة الكارثة، التي ألمّت بهم من جراء تسلّم بني أُميّة لمنصّة الحكم، وقد جاءت خطبته في كتب السير والتاريخ، فمن أراد فليرجع إليها.

وبعد ذلك: إنّ في سيرة المسلمين لدليلاً واضحاً على أنّ الحجّ ملتقى سياسي وراء كونه عملاً عبادياً، فانّ الاصلاحات الجذرية التي قام بها المفكّرون المسلمون قد انعقدت نطفها في الأراضي المقدّسة وفي موسم الحجّ، فحملوا الفكرة التي تبنّوها في جوار بيت الله الحرام وفي ذلك المُحتشد العظيم، ثمّ غذّوها بفكرتهم وتجاربهم إلى أن أُتيحت لهم الفرص لبناء مجتمع طاهر أو حكومة عادلة أو ثورة عارمة في وجه الطغاة والظالمين، وبذلك يتّضح أنّ الحجّ الإبراهيمي ليس مجرد طقوس وسنن يقوم بها الفرد أو الجمع في أيّام معلومات، بل فيه آية العبادة وشارة السياسة، وفيه منافع للمسلمين في عاجلهم وآجلهم، فيجب على المسلمين احياء هذه السنّة الكريمة الحجّ الحقيقي، الذي وضع حجره الأساس إبراهيم الخليل عليه السلام كلّ ذلك بفضل الحجّ وببركة ذلك المُحتشد العظيم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

www.noormags.com